قصة اِسْتِشْهَادُ الإِنْسَانِ المُعَاصِر

# مَلْحَمَةُ الضَّمِيرِ فِي مَدِينَةِ الزَّجَاج

( مُحَاكَاةٌ أَدَبِيَّةٌ رَمْزِيَّةٌ لِمَحَطَّاتِ كَرْبَلَاءَ فِي وَجَعِ الإِنْسَانِ الرَّاهِن )

د. عقيل محمود الخزعلي

2026

## مِفْتَاحُ القِرَاءَة

هذه ملحمةٌ رمزيَّةٌ تستلهمُ البنيةَ الأخلاقيَّةَ والدراميَّةَ لواقعةِ كربلاء، وتصونُ قداسةَ الواقعةِ ومقامَ الإمامِ الحسينِ وأهلِ بيتهِ وأصحابه الأجلاء. شخصيَّاتُها وأمكنتُها معاصرةٌ متخيَّلة، وكلُّ محطةٍ فيها جسرٌ بينَ الذاكرةِ ووجعِ الإنسانِ الراهن.

## إِهْدَاء

إلى كلِّ إنسانٍ حُوصِرَ بينَ سلامةِ الجسدِ وكرامةِ الرُّوح، فاختارَ أن يتركَ في العالمِ أثراً أوسعَ من عمرِه.

تتقدَّمُ هذهِ القصَّةُ بوصفِها مرآةً أدبيَّةً لعصرٍ يملكُ قدرةً تقنيَّةً هائلةً ويعاني هشاشةً أخلاقيَّةً عميقة. تستبدلُ السيوفَ بخوارزميَّاتِ السيطرة، وتستبدلُ القوافلَ بممرَّاتِ النزوح، وتستبدلُ حصارَ الماءِ باحتكارِ الموارد، مع بقاءِ السؤالِ الجوهريِّ حاضراً: [ماذا يصنعُ الإنسانُ حينَ يصبحُ ثمنُ الأمانِ هو التنازلُ عن كرامته؟!]

# فِهْرِسُ المَحَطَّات


**الجزءُ الأوَّلُ/ مَمْلَكَةُ المَرَايَا**

1. المحطَّةُ الأولى/ عَامُ الرَّمَاد
2. المحطَّةُ الثانية/ خَتْمُ الطَّاعَة
3. المحطَّةُ الثالثة/ الخُرُوجُ مِنْ مَدِينَةِ الذَّاكِرَة

**الجزءُ الثَّاني/ النِّداءُ والخُذلانُ**

1. المحطَّةُ الرَّابعة/ رَسَائِلُ مَدِينَةِ النَّهْر
2. المحطَّةُ الخامسة/ سَفِيرُ المَعْنَى
3. المحطَّةُ السادسة/ قَافِلَةُ الضَّمِير
4. المحطَّةُ السَّابعة/ الحَارِسُ المُتَرَدِّد

**الجزءُ الثَّالثُ/ وَادِي العَطَشِ**

1. المحطَّةُ الثَّامنة/ وَادِي الرَّمَاد
2. المحطَّةُ التَّاسعة/ الحِصَارُ الشَّامِل
3. المحطَّةُ العاشرة/ لَيْلَةُ الاخْتِيَار

**الجزءُ الرَّابعُ/ يَوْمُ الإِنْسَانِ**

1. المحطَّةُ الحَادِيَةَ عَشْرَة/ فَجْرُ الإِنْسَان
2. المحطَّةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَة/ مَوَاكِبُ القِيَم
3. المحطَّةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَة/ المَوْقِفُ الأَخِير

**الجزءُ الخَامِسُ/ قِيَامَةُ الضَّمِيرِ**

1. المحطَّةُ الرَّابعةَ عَشْرَة/ قَافِلَةُ الشُّهُود
2. المحطَّةُ الخامسةَ عَشْرَة/ قِيَامَةُ الضَّمِير

الجزءُ الأوَّلُ مَمْلَكَةٌ
المَرَايَا
حينَ صارتِ الطَّاعةُ خَتْمًا رَقميًّا وصارَ الضَّميرُ جريمةً

# المحطَّةُ الأولى عَامُ الرَّمَاد

كانَ العالمُ قد بلغَ عامَ الرَّمادِ الثالث، وهو الاسمُ الذي أطلقهُ المؤرّخونَ على زمنٍ اجتمعتْ فيهِ وفرةُ الآلةِ مع فقرِ الرُّوح. بلغتِ المدنُ حافَّةَ الغيوم، وصارتِ المصانعُ تديرُها أذرعٌ صامتة، وصارَ الطبُّ يرى الخلايا قبلَ أن يراها المريضُ في جسده، وصارتِ الشاشاتُ تحملُ صورةَ المرءِ إلى أقصى الأرضِ في طرفةِ عين. ومعَ ذلكَ كانَ الناسُ ينامونَ وهم يشعرونَ أنَّ شيئاً عزيزاً انسحبَ من داخلهم.

في قلبِ القارَّةِ قامتْ مدينةُ الزُّجاج، عاصمةُ النظامِ العالميِّ الجديد. أبراجُها شفَّافةٌ في الظاهر، معتمةٌ في الباطن. كلُّ نافذةٍ شاشة، وكلُّ شاشةٍ عين، وكلُّ عينٍ تجمعُ النَّبضَ والخطوةَ والكلمةَ والرغبة. تولَّتِ المرآةُ الكبرى ترتيبَ حياةِ الناس: [مَن يعمل، ومَن يسافر، ومَن يتعلَّم، ومَن يحصلُ على الماءِ والدواءِ والضوء]. وكانَ مجلسُ السوقِ يصفُ ذلكَ بالنظامِ الكامل، **لأنَّ الخطأَ البشريَّ اختفى من تقاريره، بينما اختفى الإنسانُ من المعادلةِ ذاتها.**

في حيٍّ قديمٍ عندَ أطرافِ المدينةِ عاشَ **آدمُ بنُ التُّراب**، معلِّمٌ وطبيبُ معنىً في آنٍ واحد. أسَّسَ بيتاً صغيراً سمَّاهُ دارَ الكرامة. تعلَّمَ فيهِ الأطفالُ القراءةَ من حكاياتِ الأحرار، وتلقَّى فيهِ المرضى دواءً يصنعهُ متطوّعون، وتشاركَ الجيرانُ ماءَ بئرٍ بقيتْ خارجَ شبكةِ الاحتكار. كانَ آدمُ يقولُ: **(إنَّ المدينةَ التي تقيسُ قيمةَ الإنسانِ بقدرتهِ على الشراءِ تصنعُ سوقاً واسعةً وقلباً ضيّقاً).**

بدأَ الناسُ يقصدونَ دارَ الكرامةِ من أحياءٍ بعيدة. جاءَ **العاملُ** الذي سُرقتْ سنواتُهُ بعقدٍ رقمي، وجاءتِ **المعلّمةُ** التي طُردتْ بسببِ درسٍ عن حريةِ الضمير، وجاءَ **صحفيٌّ** حملَ وثائقَ تكشفُ صفقاتِ الماءِ والسلاحِ والدواء. ازدادَ الضوءُ في البيتِ الصغير، فشعرتِ المرآةُ الكبرى بوجودِ بقعةٍ تعجزُ عن قياسها.

في مساءٍ باردٍ وصلَ إلى **آدمَ** أمرٌ مختومٌ بخاتمِ مجلسِ السوق. دُعيَ إلى قاعةِ المرايا عندَ منتصفِ الليل. حملَ الورقةَ بينَ أصابعهِ، ونظرَ إلى أختهِ مريمَ وابنهِ نادرٍ والصغيرِ يونسَ والرضيعةِ أمل. **فهمَ الجميعُ أنَّ المدينةَ بدأتْ امتحانَها الأخير.**

## المحطَّةُ الثانية/ خَتْمُ الطَّاعَة

**دخلَ آدمُ قاعةَ المرايا وحده.** امتدَّتْ أمامهُ جدرانٌ تعكسُ صورتهُ آلافَ المرَّات، حتى بدا كأنَّ الرجلَ الواحدَ تحوَّلَ إلى جمهورٍ صامت. **جلسَ رئيسُ** المجلسِ خلفَ طاولةٍ سوداءَ يلمعُ فوقها جهازُ الختمِ الحيوي.

**قالَ الرئيسُ:** (إنَّ العالمَ دخلَ عصرَ الأمانِ الكامل، وإنَّ الأمانَ يحتاجُ إلى طاعةٍ كاملة). دفعَ إليهِ وثيقةَ البيعةِ الرقمية. **تنصُّ الوثيقةُ** على تسليمِ الحكمِ الأخلاقيِّ إلى المرآةِ الكبرى، وعلى قبولِ قراراتها في توزيعِ الماءِ والعملِ والعلاجِ والإعلام، وعلى اعتبارِ الاعتراضِ خللاً أمنياً.

**تأمَّلَ آدمُ الجهازَ الذي ينتظرُ بصمته. ثمَّ رفعَ رأسهُ وقالَ بصوتٍ هادئ:**( الإنسانُ أوسعُ من معادلة، والكرامةُ أسبقُ من المنفعة، والضميرُ سلطةٌ داخليةٌ تتقدَّمُ على أوامرِ الخوف).

**ابتسمَ الرئيسُ ابتسامةً باردة.** عرضَ عليهِ منصباً في مجلسِ الأخلاقِ التابعِ للسوق، وحساباً مالياً مفتوحاً، وحمايةً لعائلتهِ، وامتيازاتٍ تضمنُ لدارِ الكرامةِ البقاءَ تحتَ إشرافِ النظام. **فهمَ آدمُ أنَّ العرضَ قفصٌ مكسوٌّ بالذهب.**

**قالَ الرئيسُ:** (إنَّ الامتناعَ سيجعلُهُ خارجَ النظام). ستُغلقُ حساباتُهُ، وتتوقَّفُ بطاقةُ الماءِ، ويُمنعُ أولادُهُ من المدارسِ والمستشفياتِ والطرق.

**أجابَ آدمُ:** (عندما تصبحُ الحياةُ ثمناً للصمتِ، يتحوَّلُ الصمتُ إلى موتٍ مؤجَّل).

خرجَ آدم من القاعةِ قبلَ الفجر. في الطريقِ رأى تماثيلَ زجاجيَّةً لرجالٍ حملوا ألقابَ القادةِ ثمَّ صاروا حُرَّاساً للنظام! أدركَ آدم أنَّ الامتحانَ تجاوزَ مصيرَهُ الشخصي، وأنَّ قبولَ الختمِ سيمنحُ الطغيانَ شرعيةَ الضحيَّةِ ذاتها.

عندَ بابِ البيتِ كانتْ **مريمُ** تنتظرُ. قرأتِ القرارَ في عينيهِ قبلَ أن ينطق. جمعَ **نادرٌ** الخرائطَ، وحملَ **يونسُ** صندوقَ الكتب، ولفَّتْ مريمُ أملَ بعباءةٍ بلونِ الفجر. وفي آخرِ الليلِ فتحَ **آدمُ** بابَ دارِ الكرامةِ للناسِ وقالَ: (إنَّ الرحلةَ تبدأُ معَ أولِ ضوء).

## المحطَّةُ الثالثة/ الخُروجُ مِنْ مَدِينَةِ الذَّاكِرَة

**غادرَتِ القافلةُ مدينةَ الزُّجاجِ من بوابةٍ جانبيَّةٍ إلى الصحراء**. سارَ معهمُ عددٌ قليلٌ من الأصدقاء: حكيمُ الطبيب، وسلمى المعلِّمة، ونديمُ الصحفي، وريَّانُ المهندس، وأمينةُ المزارعة، وفارسُ العامل، وسالمُ حاملُ الرايةِ البيضاءِ التي كُتبتْ عليها كلمةُ الكرامة.

**وقفتِ الجموعُ خلفَ النوافذِ تراقبُهم**. أيدي الناسِ ارتفعتْ ثمَّ هبطتْ، وشفاهُهم تحرَّكتْ بالدعاءِ، بينما بقيتِ الأبوابُ مغلقة. كانَ الخوفُ قد صارَ حارساً داخلَ كلِّ بيت.

عندَ مشارفِ المدينةِ بدأتْ تصلُ إلى أجهزةِ القافلةِ رسائلُ مشفَّرةٌ من **مدينةِ النهر**، وهي مدينةٌ غنيَّةٌ بالماءِ والحبوبِ والموانئ، **يحكمُها والٍ يبيعُ النهرَ للشركاتِ ويتركُ الأحياءَ العطشى**. كتبَ أهلُها **(أنَّهم مستعدُّونَ لاستقبالِ آدم، وأنَّهم يبحثونَ عن قيادةٍ تُعيدُ للمدينةِ ميزانَها، وأنَّ عشراتِ الآلافِ يتهيَّأونَ لنصرةِ مشروعِ الكرامة)**.

**قرأَ آدمُ الرسائلَ مراراً**. قالَ لهُ نديمٌ إنَّها فرصةٌ تاريخيَّة، وقالَ ريَّانُ إنَّ المدينةَ تملكُ بنيةً اقتصاديَّةً قادرةً على حمايةِ المشروع. **أمَّا مريمُ فسألتْ عن ثباتِ القلوبِ حينَ يبدأُ الثمن**.

**قرَّرَ آدمُ إرسالَ سراج، وهو شابٌّ عرفَ المدنَ ومخاوفَ الناس**. كلَّفهُ أن يتحقَّقَ من صدقِ النداءِ، وأن يذكِّرَ أهلَ مدينةِ النهرِ بأنَّ **[الإصلاحَ عهدٌ ومسؤوليَّة، وأنَّ الكلماتِ تكتسبُ معناها حينَ تحملُها الأقدامُ والأيدي]**.

افترقَ سراجُ عن القافلةِ عندَ مفترقِ الصحراءِ. مضى نحوَ مدينةِ النهر، بينما واصلتِ القافلةُ طريقَها بينَ أرضٍ متشقِّقةٍ وسماءٍ ممتلئةٍ بطائراتِ المراقبة.

**في ذلكَ الصباحِ أرسلَ مجلسُ السوقِ بياناً إلى العالم:** (جماعةٌ متطرِّفةٌ غادرتِ العاصمةَ بقصدِ تهديدِ الاستقرار). انتشرتِ العبارةُ في دقائق، وصارتِ القافلةُ في أعينِ الشاشاتِ خطراً، بينما كانتْ تحملُ أطفالاً وكتباً ودواءً وراية بيضاء.

## الجزءُ الثَّاني  النِّداءُ والخُذلانُ

رسائلُ المدنِ المقهورةِ وامتحانُ الجماهيرِ عندَ الكلفةِ

## المحطَّةُ الرَّابعة/ رَسَائِلُ مَدِينَةِ النَّهْر

**دخلَ سراجُ مدينةَ النهرِ في هيئةِ بائعِ كتب.** وجدَ الشوارعَ ممتلئةً بصورِ الوالي، والمخازنَ ممتلئةً بالحبوب، والبيوتَ ممتلئةً بالجوع. كانَ النهرُ يجري قريباً، غيرَ أنَّ أنابيبَهُ اتجهتْ نحوَ مصانعِ التصديرِ وأحياءِ الأثرياءِ.

اجتمعَ بهِ الناسُ في أقبيةِ المدارسِ المهجورة، وفي ورشِ العمَّال، وفي مزارعَ يبستْ أطرافُها. قدَّموا لهُ آلافَ التوقيعاتِ والتعهُّدات. أقسمَ بعضُهم أن يبقوا حتى النهاية، وقالَ آخرونَ: **(إنَّ المدينةَ تنتظرُ قدومَ آدم كما تنتظرُ الأرضُ المطر).**

كتبَ سراجُ تقريراً أوَّلياً يحملُ بشائرَ واسعة. ثمَّ طلبَ من الناسِ تشكيلَ لجانِ ماءٍ وغذاءٍ وإسعافٍ وحمايةٍ مدنيَّة، لأنَّ استقبالَ مشروعِ الإصلاحِ يحتاجُ إلى مؤسَّساتٍ تتقدَّمُ على الحماسة. **هنا ظهرَ الفرقُ بينَ من أرادَ رمزاً يخلِّصُهُ، ومن أرادَ شراكةً يتحمَّلُ فيها حصَّتهُ من الكلفة.**

**وصلتِ الأخبارُ إلى الوالي.** جمعَ وجهاءَ المدينةِ وأصحابَ المصانعِ ومديري الجامعاتِ وقادةَ النقابات. عرضَ عليهمُ الامتيازات، ثمَّ عرضَ صورَ أبنائهم وملفَّاتِ ديونهم وأسرارَ هواتفهم. قالَ: **(إنَّ كلَّ توقيعٍ سيُقابَلُ بفقدانِ وظيفةٍ أو بيتٍ أو علاج).**

**في ليلةٍ واحدةٍ تبدَّلتِ المدينة.** امتلأتِ الشوارعُ بحواجزِ الأمن، واختفتِ الوجوهُ التي كانتْ تملأُ الاجتماعات. أرسلَ بعضُهم رسائلَ اعتذار، ومسحَ آخرونَ أسماءَهم من السجل، وأغلقَ كثيرونَ أبوابَهم.

**وقفَ سراجُ في الساحةِ الكبرى ينتظرُ الذين وعدوا بالحضور.** جاءتْ إليهِ امرأةٌ مسنَّةٌ تحملُ رغيفاً وكوبَ ماء. قالتْ: **(إنَّ المدينةَ خائفة، وإنَّ الخوفَ حينَ يدخلُ العظامَ يجعلُ المرءَ يرى القيدَ جزءاً من جسده).**

**رفعَ سراجُ نظرهُ إلى كاميراتِ الوالي.** أدركَ أنَّ الاختبارَ الحقيقيَّ بدأَ بعدَ انطفاءِ الحماسة.

## المحطَّةُ الخامسة/ سَفِيرُ المَعْنَى

**حاصرَتْ قوَّاتُ الوالي البيتَ الذي احتمى فيهِ سراج.** أمطرتِ الجدرانَ برسائلِ الاستسلام، وعرضتْ عليهِ الأمانَ مقابلَ تسجيلِ خطابٍ يتَّهمُ آدمَ بخداعِ الناس. مزَّقَ سراجُ الورقةَ، وصعدَ إلى سطحِ المبنى حيثُ يمكنُ لإشارةٍ ضعيفةٍ أن تصلَ إلى القافلة.

**سجَّلَ رسالتهُ الأخيرة:**

**[القلوبُ ما زالتْ تعرفُكم، والأيديَ قيَّدها الخوف. المدينةُ التي دعتْكم غُيِّبتْ خلفَ الأبواب. احذروا من كثرةِ الرسائلِ حينَ تغيبُ المؤسَّساتُ، ومن علوِّ الأصواتِ حينَ يقتربُ الثمن].**

أرسلَ الرسالةَ، ثمَّ أحاطتْ بهِ الطائراتُ الصغيرة. اقتيدَ إلى ساحةِ النهرِ أمامَ جمهورٍ أُجبرَ على المشاهدة. طلبَ الوالي منهُ كلمةً أخيرة. قالَ سراجُ: **(إنَّ السلطةَ التي تحتاجُ إلى خوفِ الأطفالِ كي تبقى تحملُ بذرةَ سقوطِها في قلبِها).**

**انقطعَ البثُّ بعدَ ذلكَ، غيرَ أنَّ جملةَ سراجٍ خرجتْ من ذاكرةِ الأجهزةِ وانتشرتْ بينَ العمَّالِ والطلَّاب. حاولَ النظامُ محوَها، فتناسختْ آلافَ المرَّات.**

**وصلتِ الرسالةُ إلى آدمَ عندَ غروبِ يومٍ شديدِ الحرارة.** جلسَ طويلاً أمامَ الشاشةِ المطفأة. كانَ يدركُ أنَّ سراجاً **صارَ شهيدَ المسافةِ بينَ الوعدِ والفعل.** جمعَ القافلةَ، وأخبرَهم بما حدث.

قالَ: (إنَّ الطريقَ نحوَ مدينةِ النهرِ فقدَ ضماناتهُ البشريَّة، وإنَّ كلَّ شخصٍ يملكُ حقَّ العودةِ إلى الأمان). تركَ بابَ القرارِ مفتوحاً، ثمَّ ابتعدَ كي يمنحَهم حريةً كاملة.

معَ الفجرِ رحلَ عددٌ من المرافقينَ الذين التحقوا بالقافلةِ طمعاً في موقعٍ داخلَ المدينةِ القادمة. **بقيَتِ الوجوهُ التي رأتْ في الطريقِ قيمةً تتقدَّمُ على النتيجة.**

# المحطَّةُ السادسة/ قَافِلَةُ الضَّمِير

**اجتمعَ الباقونَ حولَ نارٍ صغيرة.** كانَ آدمُ يعرفُ أسماءَهم، غيرَ أنَّهُ أرادَ سماعَ أسبابِ بقائهم.

قالَ حكيمُ الطبيب : (إنَّهُ رأى المستشفياتِ تتحوَّلُ إلى متاجر، ورأى الفقيرَ يفاوضُ على أنفاسهِ، فاختارَ أن يحملَ طبَّهُ إلى حيثُ تعودُ الحياةُ حقّاً).

قالتْ سلمى المعلِّمة : (إنَّ المناهجَ الحديثةَ علَّمتِ الأطفالَ الطاعةَ للآلةِ وحذفتْ من كتبِهم معنى السؤال، وإنَّها تريدُ حمايةَ حقِّهم في التفكير).

رفعَ نديمُ الصحفيُّ ذاكرةً صغيرةً تحملُ وثائقَ الحروبِ وصفقاتِ الغذاءِ والماءِ، وقالَ: (إنَّ الحقيقةَ التي تبقى مخفيَّةً تموتُ معَ أصحابِها).

قالَ ريَّانُ المهندسُ : (إنَّهُ بنى جسوراً تخدمُ قصورَ الأغنياءِ، ويريدُ أن يبني جسراً يعبرُ عليهِ الإنسانُ نحوَ كرامته.

وضعتْ أمينةُ المزارعةُ كيساً من البذورِ أمامَها وقالتْ إنَّ الأرضَ تحفظُ العهدَ أكثرَ من كثيرٍ من البشر، وإنَّ البذرةَ تموتُ في الترابِ كي تفتحَ طريقاً للحياة).

مدَّ فارسُ العاملُ كفَّيهِ المتشقِّقتين وقالَ: (إنَّ يدَهُ صنعتْ المدينةَ ثمَّ حُرمتْ من بيتٍ فيها).

أمسكَ سالمُ الرايةَ وقالَ: (إنَّ الرمزَ الذي يسقطُ في اللحظةِ الحرجةِ يمنحُ الخصمَ انتصاراً على الذاكرة).

كانَ نادرٌ ابنُ آدمَ ينظرُ إلى أبيهِ بصمت. قالَ: (إنَّ جيلهُ ورثَ عالماً ممتلئاً بالآلاتِ والديونِ والخوف، ويريدُ أن يورثَ الجيلَ التالي سبباً واحداً للثقةِ بالإنسان).

جلستْ مريمُ قربَ الرضيعةِ أمل، وقالتْ: (إنَّ الشهادةَ تحتاجُ إلى صوتٍ يحملُ معناها بعدَ سكونِ الميدان.

أما الصغيرُ يونسُ فكانَ مريضاً منذُ بدايةِ الرحلة. رفعَ كتابَهُ وسألَ أباهُ عن شكلِ النصر. وضعَ آدمُ يدَهُ على رأسهِ وقالَ: (إنَّ النصرَ يبدأُ حينَ يعجزُ الخوفُ عن تغييرِ معنى الحقِّ في القلب).

أطفأوا النارَ قبلَ طلوعِ الشمس، وحملوا ما بقيَ من الماء، وتابعوا الطريق.

# المحطَّةُ السَّابعة/ الحَارِسُ المُتَرَدِّد

**ظهرَتْ مركباتُ الأمنِ عندَ الظهيرةِ كخطٍّ أسودَ على حافةِ الصحراء**. تقدَّمَ الضابطُ رائدٌ ومعهُ مئةُ جنديٍّ وطائراتٌ مسيَّرة. كانتْ أوامرُهُ أن يمنعَ القافلةَ من دخولِ مدينةِ النهرِ، وأن يقتادَها إلى منطقةٍ مكشوفةٍ حتى تصلَ قوَّاتُ المجلس.

وقفَ آدمُ أمامهُ وسألهُ عن الجريمةِ التي ارتكبتْها القافلة. أجابَ رائدٌ: (أنَّ التهمةَ تهديدُ الاستقرار). أشارَ آدمُ إلى الأطفالِ والكتبِ وأكياسِ الدواء، وسألهُ عن الاستقرارِ الذي يخافُ من رضيعٍ عطشان.

اضطربَ رائدٌ لحظةً، ثمَّ نفَّذَ الأمر!. أحاطَ بالقافلةِ ودفعَها نحوَ وادي الرماد. كانَ يراقبُ آدمَ طوالَ الطريق، ويرى كيفَ يقاسمُ الماءَ بينَ الصغارِ والمرضى، وكيفَ يحدِّثُ الجنودَ بأسمائهم بدلَ أن يختزلَهم في صورةِ عدو.

في الليلِ اقتربَ رائدٌ من خيمةِ آدم. قالَ: (إنَّهُ جنديٌّ ينفِّذُ أمراً، وإنَّ رفضَهُ سيعرِّضُ أسرتهُ للخطر). أجابَ آدمُ: (أنَّ كلَّ أمرٍ يمرُّ عبرَ الضميرِ قبلَ أن يصلَ إلى اليد، وأنَّ الإنسانَ يبني مصيرَهُ من سلسلةِ اختياراتٍ تبدو صغيرةً في لحظتِها).

عادَ رائدٌ إلى موقعهِ، وبقيَ مستيقظاً حتى الفجر. كانتْ كلماتُ آدمَ تتحرَّكُ داخلَهُ كحجرٍ في ماءٍ ساكن.

الجزءُ الثَّالثُ وَادِي
العَطَشِ
حينَ تحوَّلتِ الحاجاتُ الإنسانيَّةُ إلى أدواتِ حصارٍ

## المحطَّةُ الثَّامنة/ وَادِي الرَّمَاد

**وصلتِ القافلةُ إلى وادٍ منخفضٍ تحيطُ بهِ تلالٌ جرداء**. خلفَ التلِّ الشرقيِّ جرى نهرٌ محاطٌ بسياجٍ معدنيٍّ تحرسهُ شركةُ الماءِ وقوَّاتُ المجلس. أُقيمَ المخيَّمُ في بقعةٍ مكشوفة، ثمَّ اكتملَ الحصارُ معَ غروبِ الشمس.

**جاءَ قائدُ القوَّاتِ برسالةٍ تحملُ شرطاً واحداً**: [ختمُ الطاعةِ مقابلَ الماءِ والطريقِ والأمان]. قرأَ آدمُ الرسالةَ وأعادَها. طلبَ ممراً آمناً للأطفالِ والنساءِ والمرضى، فرفضَ القائد. طلبَ مناظرةً علنيَّةً أمامَ الناس، فرفضَ أيضاً. **كانَ المجلسُ يريدُ صورةَ الركوعِ أكثرَ من رغبتهِ في إنهاءِ الأزمة.**

بدأَ الماءُ ينقص. قسَّمتْ مريمُ القطراتِ بينَ الصغار، وصنعَ ريَّانُ أوعيةً تجمعُ ندى الليل، وحفرَ فارسٌ وأمينةُ في الأرضِ بحثاً عن رطوبة. **ظلَّ النهرُ يلمعُ قريباً كأنَّهُ يختبرُ معنى العدالة.**

في اليومِ التالي وصلتْ شاحناتُ الإعلامِ. أقامتْ منصَّاتٍ بعيدةً عن المخيَّم، وبثَّتْ تقاريرَ تصفُ الحصارَ بعمليَّةِ حمايةٍ للنظامِ العام. عرضتْ صوراً معدَّلةً تضعُ أسلحةً وهميَّةً بينَ أيدي الأطفال.

عملَ نديمٌ على جهازٍ صغيرٍ يخفيهِ تحتَ ثيابه. أرسلَ مقاطعَ حقيقيَّةً إلى شبكاتٍ مستقلَّة. شاهدَ الناسُ وجوهَ الصغارِ اليابسة، ورايةَ الكرامة، والطبيبَ يعالجُ المرضى من مخزونٍ يتناقص. بدأتْ أسئلةٌ خافتةٌ تظهرُ في مدنٍ بعيدة.

قالتْ مريمُ: (إنَّ الحصارَ يختبرُ القدرةَ على حمايةِ المعنى من التشويهِ بقدرِ اختبارِ القدرةِ على حمايةِ الجسد).

## المحطَّةُ التَّاسعة/ الحِصَارُ الشَّامِل

في اليومِ الثالثِ أغلقَ المجلسُ شبكةَ الاتصالات، ومنعَ الطائراتِ المدنيَّةَ من المرور، وهدَّدَ كلَّ قريةٍ تساعدُ المخيَّم. ارتفعَ ثمنُ الخبزِ في الأسواقِ القريبة، **لأنَّ الخوفَ صارَ ضريبةً يدفعُها الجميع.**

حوَّلَ حكيمٌ إحدى الخيامِ إلى عيادة. كانَ يكتبُ أسماءَ المرضى وأعراضَهم ومقدارَ الدواءِ المتبقِّي، **لأنَّ التنظيمَ وسطَ الفوضى شكلٌ من أشكالِ المقاومة.** علَّمتْ سلمى الأطفالَ كيفَ يحسبونَ الوقتَ من حركةِ الظل، وكيفَ يرسمونَ بيتاً في الورقِ كي يحتفظوا بصورةِ المستقبل.

حاولَ سالمٌ الوصولَ إلى النهرِ معَ ثلاثةٍ من الشبَّان. نجحوا في ملءِ قربٍ قليلة، ثمَّ هاجمتْهم طائرةٌ مسيَّرة. عادَ سالمٌ مصاباً وهو يحملُ الماءَ فوقَ كتفه. **قدَّمَ القِرَبَ للأطفالِ قبلَ أن يطلبَ علاجاً لنفسِه.**

عندَ المساءِ وصلَ مبعوثٌ من مجلسِ السوق. عرضَ على آدمَ تسويةً أخيرة: **[يسجِّلُ بياناً يعترفُ فيهِ بحكمةِ المرآةِ الكبرى، ثمَّ يُسمحُ للقافلةِ بالعودةِ إلى حياةٍ مريحة. قالَ المبعوثُ إنَّ العالمَ سينسى كلَّ شيءٍ خلالَ أسبوع].**

**أجابَ آدمُ:** (أنَّ العالمَ قد ينسى الخبر، بينما يحتفظُ الضميرُ بصورةِ الإنسانِ حينَ يقبلُ إذلالَهُ بيده). ثمَّ أعادَ المبعوثَ إلى معسكرِه.

انتشرَ الليلُ فوقَ الوادي. عرفَ آدمُ أنَّ الغدَ يحملُ القرارَ الأخير.

# المحطَّةُ العاشرة/ لَيْلَةُ الاخْتِيَار

**جمعَ آدمُ أصحابهُ بعدَ أن نامَ الأطفال.** أطفأَ المصابيحَ حتى صارَ الظلامُ ستراً للوجوه. قالَ: (لهم إنَّ قوَّاتِ المجلسِ تريدُهُ هو، وإنَّ الطريقَ الخلفيَّ ما زالَ مفتوحاً لأفرادٍ يستطيعونَ التسلُّل). منحَهم حقَّ الرحيلِ، وأعلنَ أنَّ العهدَ الذي جمعَهم انتهى في تلكَ اللحظةِ **كي يصبحَ البقاءُ اختياراً صافياً.**

**سادَ الصمتُ طويلاً.** ثمَّ رفعَ حكيمٌ حقيبةَ الدواءِ وقالَ: (إنَّ الطبيبَ الذي يغادرُ المرضى عندَ اشتدادِ الوجعِ يفقدُ معنى المهنة).

قالتْ سلمى: (إنَّ درسَ الغدِ سيكونُ آخرَ ما يكتبهُ المعلِّمونَ في ذاكرةِ الأطفال، وإنَّها تريدُ للدرسِ أن يقولَ إنَّ المعرفةَ تقفُ معَ الكرامة.

وضعَ نديمٌ: (جهازَ البثِّ أمامهُ وقالَ إنَّ الحقيقةَ تحتاجُ إلى عينٍ تبقى مفتوحةً حتى آخرِ المشهد).

قالَ ريَّانُ: (إنَّ الجسرَ الذي حلمَ ببنائهِ يبدأُ من هذهِ البقعةِ بينَ الخوفِ والوفاء).

قالتْ أمينةُ: (إنَّ البذورَ التي حملتْها تحتاجُ إلى أرضٍ حرَّة، وإنَّ موتَها في الكيسِ أشدُّ قسوةً من دفنِها في التراب).

رفعَ فارسٌ: (يديه وقالَ إنَّ العاملَ الذي بنى أبراجَ المدينةِ يملكُ أخيراً فرصةً لبناءِ معنىً يبقى.

وقفَ سالمُ: (والرايةُ في يده، وقالَ إنَّ الرايةَ ستبقى فوقَ المخيَّم ما بقيَتْ في ذراعهِ قدرة.

اقتربَ نادرٌ: (من أبيهِ وقالَ إنَّهُ ابنُ هذا الطريقِ قبلَ أن يكونَ ابنَ البيت.

أما مريمُ فقالتْ: (إنَّها ستبقى لحملِ الروايةِ حينَ يصمتُ الميدان).

نامَ بعضُهم قليلاً، وصلَّى آخرون، وكتبَ نديمٌ أسماءَ الجميعِ في ملفٍّ سمَّاهُ [سجلَّ الأحياءِ بعدَ الموت]. جلسَ آدمُ قربَ يونسَ المريضِ وأملَ الرضيعة. سألهُ يونسُ: (إنْ كانَ الفجرُ سيأتي). أجابَ آدم: (أنَّ الفجرَ قد يتأخَّرُ في السماءِ، لكنه يبدأُ أحياناً داخلَ الإنسان).

# الجزءُ الرَّابعُ يَوْمُ الإِنْسَانِ

ذروةُ الموقفِ حينَ تتقابلُ القوَّةُ المادِّيَّةُ والشرعيَّةُ الأخلاقيَّةُ

# المحطَّةُ الحَادِيَةَ/ عَشْرَة فَجْرُ الإِنْسَان

**ظهرَ الضوءُ فوقَ التلالِ شاحباً.** رتَّبَ آدمُ المخيَّمَ على هيئةِ دائرةٍ تحمي الأطفالَ والمرضى في القلب. وضعَ ريَّانُ حواجزَ بسيطةً من العرباتِ والأخشاب، وتولَّى حكيمٌ العيادة، وأمسكَ سالمُ الراية، وفتحَ نديمٌ قناةَ بثٍّ سرِّيَّة.

**تقدَّمتْ قوَّاتُ المجلسِ في صفوفٍ طويلة.** خرجَ آدمُ أمامَ المخيَّم، وذكَّرَ الجنودَ بأنَّهم أبناءُ أحياءٍ تشربُ من الماءِ ذاته، وأنَّ الأوامرَ تنتهي بينما يبقى أثرُ الفعلِ في الذاكرة. طلبَ ممراً للمدنيِّين. جاءهُ الردُّ بطلبِ الختم.

**في تلكَ اللحظةِ تركَ رائدٌ موقعَهُ.** قادَ مركبتَهُ نحوَ المخيَّم، ونزلَ منها رافعاً يديه. أعلنَ أنَّهُ حملَ القافلةَ إلى الوادي، وأنَّهُ اختارَ اليومَ أن يحميَها. ارتبكتْ صفوفُ الجنود، **لأنَّ الضميرَ حينَ يستيقظُ داخلَ المؤسَّسةِ يكسرُ صورةَ الطاعةِ الكاملة.**

بدأَ الهجومُ بطائراتٍ صغيرةٍ وقنابلَ صوتيَّةٍ ورصاصٍ موجَّه. كانَ أصحابُ آدمَ يحمونَ المدنيِّينَ ويمنعونَ اقتحامَ الدائرة. **لم تكنْ لديهم قدرةٌ على قلبِ ميزانِ السلاح، غيرَ أنَّهم امتلكوا قدرةً على تحديدِ معنى الموقف.**

بثَّ نديمٌ المشهدَ إلى العالمِ قبلَ أن تنقطعَ القناة. شاهدَ ملايينُ الناسِ رجلاً يرفعُ رايةَ الكرامةِ أمامَ آلةٍ هائلة، وطبيباً يركضُ نحوَ الجرحى، ومعلِّمةً تحيطُ الأطفالَ بذراعيها، وضابطاً سابقاً يقفُ بينَ جنودِهِ والمخيَّم.

تحوَّلَ الوادي في تلكَ الساعةِ إلى **مرآةٍ حقيقيَّةٍ** يرى فيها العالمُ صورتَهُ الأخلاقيَّة.

# المحطَّةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ/ مَوَاكِبُ القِيَم

**كانَ رائدٌ أوَّلَ من سقطَ عندَ مدخلِ الدائرة.** تقدَّمَ نحوَ الجنودِ الذين عرفوهُ، وطلبَ منهم أن يفتحوا ممراً للأطفال. أصابتهُ رصاصةٌ في صدرهِ، فسقطَ وهو ينظرُ إلى الجهةِ التي جاءَ منها. صارَ اعترافُهُ الأخيرُ أقوى من سنواتِ خدمتهِ في جهازِ الطاعة.

تقدَّمَ فارسُ العاملُ ليُبعدَ مركبةً محترقةً عن خيمةِ المرضى. دفعَها بكتفهِ حتى ابتعدَتْ، ثمَّ سقطَ تحتَ وابلِ الرصاص. **بقيتْ كفَّاهُ المفتوحتانِ فوقَ الترابِ كأنَّهما تطالبانِ العالمَ بأجرِ كلِّ يدٍ بنتْ مدينةً وحُرمتْ من ثمرتها.**

خرجتْ أمينةُ تحملُ جرابَ البذورِ وقربةَ ماءٍ صغيرة. وصلتْ إلى مجموعةٍ من الأطفالِ خلفَ حاجزٍ متهدِّم، وسقتهم، ثمَّ دفنتِ البذورَ في حفرةٍ رطبةٍ قبلَ أن تصيبَها شظيَّة. قالتْ لمريمَ وهي تبتسمُ: (إنَّ الأرضَ ستتذكَّر).

وقفتْ سلمى عندَ بابِ الخيمةِ تقرأُ للأطفالِ **درساً عن الكرامة.** حينَ اشتدَّ القصفُ، ظلَّ صوتُها ثابتاً كي تحميَ عقولهم من الذعر. أصابَتْها شظيَّةٌ وهي تكتبُ على لوحٍ صغيرٍ **كلمةَ الإنسان.**

بقيَ ريَّانُ يصلحُ الحاجزَ ويبتكرُ ممراً للإخلاءِ بينَ الخيام. نجحَ في نقلِ عددٍ من الجرحى إلى منخفضٍ آمن، ثمَّ انهارَ فوقَ المخطَّطِ الذي رسمهُ. كانَ آخرُ خطٍّ فيهِ يتجهُ نحوَ النهر.

حملَ نديمٌ الكاميراَ فوقَ كتفهِ وصعدَ إلى مرتفعٍ يكشفُ الميدان. بثَّ أسماءَ الشهداءِ واحداً واحداً، وشرحَ للعالمِ: (أنَّ القافلةَ حملتْ كتباً ودواءً وبذوراً). أصابَتِ الطائرةُ جهازَهُ، **فسقطَ التسجيلُ فوقَ الشبكةِ العالميَّةِ قبلَ أن يسقطَ صاحبه.**

اندفعَ سالمُ نحوَ النهرِ مرَّةً أخرى. أصابتْهُ طائرةٌ عندَ السياج، ومعَ ذلكَ ملأَ قربةً واحدةً وحملَها بينَ ذراعيهِ. عادَ خطواتٍ قليلةً، ثمَّ سقطَ. **بقيتِ الرايةُ عالقةً في السياجِ ترتفعُ معَ الريح.**

جاءَ دورُ نادر. عانقَ أباهُ طويلاً، ثمَّ تقدَّمَ معَ مجموعةٍ صغيرةٍ لحمايةِ الجهةِ الشرقيَّة. كانَ شابّاً يحملُ أحلامَ جيلٍ كامل: [جامعةً حرَّة مسؤولية، وعملاً كريماً، ومدناً تُدارُ بالعدالة]. أصيبَ وهو يردِّدُ: (أنَّ المستقبلَ أمانة). حملَهُ آدمُ إلى الخيمة، ووضعَ رأسَهُ على صدرهِ حتى سكن.

**اشتدَّ عطشُ الرضيعةِ أمل.** حملَها آدمُ نحوَ خطوطِ الجنود، ورفعَها كي يراها الجميع. طلبَ قطرةَ ماءٍ لطفلةٍ ما عرفتْ معنى الصراع. انطلقَ سهمٌ آليٌّ من برجِ المراقبة، فسكتَ بكاؤها. ضمَّها آدمُ إلى قلبهِ، ثمَّ عادَ بها إلى مريم. في تلكَ اللحظةِ انكسرَ شيءٌ داخلَ كثيرٍ من الجنود، غيرَ أنَّ آلةَ الأمرِ واصلتْ عملَها.

أصيبَ حكيمُ الطبيبُ وهو يعالجُ جنديّاً من القوَّةِ المهاجمةِ وصلَ جريحاً إلى قربِ المخيَّم. غطَّى جسدَهُ فوقَ المريضِ كي يحميَهُ من الشظايا، فسقطَ وبقيَ الجنديُّ حيّاً شاهداً على **معنى الطبِّ حينَ يتحرَّرُ من هويَّةِ الخصومة.**

معَ الظهيرةِ بقيَ آدمُ ومريمُ ويونسُ وعددٌ قليلٌ من الجرحى. صارَ الميدانُ ساكناً إلَّا من صوتِ الريحِ وصريرِ الآلات.

# المحطَّةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ/ المَوْقِفُ الأَخِير

**خرجَ آدمُ إلى الساحةِ وحده.** كانَ جسدُهُ مثقلاً بالجراح، وثوبُهُ مغطًّى بالغبار، وعيناهُ ثابتتينِ نحوَ صفوفِ الجنود. طلبَ القائدُ منهُ أن يضعَ بصمتَهُ على جهازِ الختمِ كي تنتهيَ العمليَّة.

نظرَ آدمُ إلى الجهازِ ثمَّ إلى المخيَّمِ خلفه. رأى رايةَ سالمٍ عندَ السياج، وسبورةَ سلمى، وكاميرا نديم، وبذورَ أمينة، ومخطَّطَ ريَّان، وقفَّازَي حكيم، ويدَي فارس، ووجهَ نادر، وعباءةَ أمل الصغيرة.

قالَ آدم: **(إنَّ المجلسَ يستطيعُ امتلاكَ الطرقِ والمصارفِ والشاشات، ويعجزُ عن امتلاكِ المعنى الذي يختارهُ الإنسانُ في لحظةِ الخوف وإنَّ الموتَ الذي يحفظُ الكرامةَ يفتحُ للحياةِ باباً جديداً، وإنَّ النجاةَ التي تُباعُ بالخضوعِ تتركُ الإنسانَ حيّاً في السجلِّ غائباً عن نفسه).**

**تقدَّمتِ الآلات.** قاومَ آدمُ بما بقيَ لديهِ من قدرة، وكانَ هدفُهُ إبقاءَ الطريقِ نحوَ خيمةِ الجرحى مغلقاً. تكاثرتِ الضربات، وسقطَ على ركبتيهِ ثمَّ نهض. **في المرَّةِ الأخيرةِ رفعَ يدهُ نحوَ السماءِ كأنَّهُ يسلِّمُ الأمانةَ إلى ضميرِ العالم.**

سقطَ آدمُ الجسد عندَ منتصفِ النهار.

**أعلنَ مجلسُ السوقِ انتهاءَ التمرُّد،** وبثَّ صوراً للجنودِ وهم يرفعونَ شعارَ النصر. ارتفعتِ المؤشِّراتُ الماليَّةُ دقائقَ قليلة، ثمَّ بدأتْ شاشاتٌ كثيرةٌ حولَ العالمِ تعرضُ المشاهدَ التي أرسلَها نديم. **رأى الناسُ الحقيقةَ كاملةً، وبدأَ النصرُ الآخرُ مسيرتَهُ الصامتة.**

## الجزءُ الخَامِسُ قِيَامَةُ الضَّمِيرِ

الشهادةُ التي خرجتْ من الميدانِ كي تسكنَ ذاكرةَ العالِمِ

## المحطَّةُ الرَّابعةَ عَشْرَة/ قَافِلَةُ الشُّهُود

**اقتادتِ القوَّاتُ مريمَ ويونسَ والجرحى إلى مدينةِ النهر، ثمَّ إلى العاصمةِ الزجاجيَّة.** مرَّتِ القافلةُ في الشوارعِ التي امتلأتْ سابقاً برسائلِ التأييد. وقفَ الناسُ خلفَ الحواجز، وخفضَ كثيرونَ رؤوسَهم خجلاً. كانتْ مريمُ تمشي مرفوعةَ الرأس، تحملُ عباءةَ أمل وذاكرةَ الجميع.

**في مدينةِ النهرِ أُدخلتْ إلى قاعةِ الوالي.** أرادَ منها أن تعترفَ بأنَّ آدمَ قادَ الناسَ إلى الهلاك. أجابتْ مريم: (أنَّ الهلاكَ الحقيقيَّ يبدأُ حينَ يصيرُ الخوفُ دستوراً، وحينَ يختارُ الناسُ سلامةَ يومٍ واحدٍ مقابلَ فقدانِ مستقبلهم).

طلبَ الوالي إيقافَ البث، غيرَ أنَّ أحدَ الفنّيّينَ تركَ القناةَ مفتوحة. خرجَ صوتُ مريمَ إلى البيوتِ التي أغلقتْ أبوابَها في وجهِ سراج. بكى بعضُ الناس، وبدأَ آخرونَ يكتبونَ أسماءَ الشهداءِ على الجدران.

**وصلتِ القافلةُ بعدَ أيَّامٍ إلى قاعةِ العرشِ الزجاجي.** جلسَ رئيسُ المجلسِ أمامَ عدساتِ العالم. أرادَ تحويلَ المحاكمةِ إلى احتفالٍ سياسي، (فسألَ مريمَ عن رأيها في مصيرِ أخيها).

قالتْ مريم: **(إنَّ المجلسَ كسبَ أرضاً صغيرةً وخسرَ المستقبل، وإنَّ السلاحَ الذي قتلَ الأجسادَ فتحَ أبوابَ الذاكرة، وإنَّ الذين سقطوا في وادي الرمادِ صاروا أكثرَ حضوراً من الجالسينَ فوقَ العروش).**

رفعَ يونسُ كتابَهُ الصغير، وقالَ إنَّ أباهُ أجابهُ عن سؤالِ الفجر، وإنَّ الفجرَ بدأَ فعلاً داخلَ ملايينِ القلوب.

حاولَ المجلسُ قطعَ البث، غيرَ أنَّ التسجيلَ انتشرَ في لحظات. دخلَ صوتُ مريمَ إلى الجامعاتِ والمصانعِ والمخيَّماتِ والسجونِ وغرفِ الأخبار. **صارتِ القافلةُ المقيَّدةُ أكثرَ حركةً من الجيوش.**

## المحطَّةُ الخامسةَ عَشْرَة/ قِيَامَةُ الضَّمِير

**في الأسبوعِ الأوَّلِ** رفضَ عمَّالُ الموانئِ شحنَ أسلحةٍ إلى مدينةِ الزجاج. في **الأسبوعِ الثاني** فتحَ أطبَّاءُ المستشفياتِ أبوابَ العلاجِ للفقراء. في **الأسبوعِ الثالث** نشرَ مهندسونَ خرائطَ شبكاتِ الماءِ المحتكرة، وبدأَ المزارعونَ يزرعونَ بذورَ أمينةَ في أراضٍ عامَّة.

ارتفعتْ كلمةُ الإنسانِ على جدرانِ المدارسِ التي درَّستْ فيها سلمى. تحوَّلتْ مقاطعُ نديم إلى أرشيفٍ عالميٍّ للضمير. حملَ العمَّالُ صورةَ كفَّي فارس، وسمَّى الأطبَّاءُ عياداتٍ باسمِ حكيم، وصارَ مخطَّطُ ريَّان أساساً لممرَّاتِ إنقاذٍ في مدنٍ محاصرة.

**واجهَ مجلسُ السوقِ موجةً عجزَتِ المرآةُ الكبرى عن قياسها، لأنَّها انتقلتْ من الأجهزةِ إلى الضمائر.** حاولَ المجلسُ تقديمَ إصلاحاتٍ شكليَّة، ثمَّ حاولَ شراءَ قادةِ الحركة، ثمَّ نشرَ رواياتٍ متناقضة. كانَ الأثرُ قد تجاوزَ حدودَ السيطرة.

**سقطتِ الحكومةُ بعدَ عامينِ من وادي الرماد،** غيرَ أنَّ القصَّةَ أكَّدتْ أنَّ سقوطَ النظامِ كانَ نتيجةً فرعيَّة. النتيجةُ الأعمقُ تمثَّلتْ في ولادةِ معيارٍ جديد: [كلُّ قانونٍ يُقاسُ بكرامةِ الإنسان، وكلُّ تقنيةٍ تُقاسُ بخدمتِها للحريَّة، وكلُّ اقتصادٍ يُقاسُ بحصَّةِ الضعيفِ من ثمرته، وكلُّ قيادةٍ تُقاسُ بمقدارِ ما تدفعُهُ من ذاتها قبلَ مطالبةِ الناسِ بالتضحية].

**عادَ يونسُ بعدَ فترة إلى وادي الرماد.** وجدَ النهرَ مفتوحاً، والبذورَ قد صارتْ أشجاراً، ودارَ الكرامةِ قد أعيدَ بناؤها على هيئةِ جامعةٍ ومشفى ومركزِ ذاكرة. وقفَ عندَ موضعِ سقوطِ أبيهِ، **وفهمَ أنَّ الشهادةَ لم تكنْ نهايةَ إنسان، وإنَّما بدايةَ إنسانيَّةٍ تستعيدُ اسمَها.**

حينَ غابتِ الشمسُ رأى طيوراً تعبرُ الوادي نحوَ مدينةِ الزجاجِ القديمة. حملَ كتابَهُ ومشى بينها، وكانَ يشعرُ أنَّ الفجرَ الذي بدأَ داخلَهُ صارَ أفقاً مفتوحاً للعالم.

حِينَ يَمُوتُ الجَسَدُ وَتَبْقَى
البُوصَلَةُ
يَبْدَأُ التَّارِيخُ الثَّانِي لِلإِنْسَان

# خَرِيطَةُ المُحَاكَاةِ الرَّمْزِيَّة

**تُظهرُ الخريطةُ الآتيةُ انتقالَ المحطاتِ من البناءِ التاريخيّ الملهمِ إلى قضايا الإنسانِ المعاصر، مع صونِ استقلالِ القصَّةِ ومقامِ الواقعةِ المقدَّسة.**

| المَحَطَّةُ الرَّمْزِيَّة | الدَّلَالَةُ المُعَاصِرَة |
|---|---|
| **رفضُ ختمِ الطاعة** | حمايةُ استقلالِ الضميرِ أمامَ السلطةِ الشاملة |
| **الخروجُ من مدينةِ الزجاج** | مغادرةُ الأمانِ حينَ يصبحُ شريكاً في الإذلال |
| **رسائلُ مدينةِ النهر** | الفارقُ بينَ الحماسةِ العابرةِ والعهدِ المؤسَّسي |
| **شهادةُ سراج** | ثمنُ الحقيقةِ حينَ تتراجعُ الجماهيرُ أمامَ الخوف |
| **صحوةُ رائد** | قدرةُ الضميرِ على اختراقِ مؤسَّساتِ القهر |
| **حصارُ الماء** | تحويلُ الموارِدِ والحاجاتِ إلى أدواتِ إخضاع |
| **ليلةُ الاختيار** | حريةُ الالتزامِ شرطٌ لصدقِ التضحية |
| **يومُ الإنسان** | ذروةُ التعارضِ بينَ التفوقِ المادّيّ والشرعيَّةِ الأخلاقيَّة |
| **كلمةُ مريم** | حملُ الشهادةِ من الميدانِ إلى الوعيِ العام |
| **قيامةُ الضمير** | انتقالُ الأثرِ من الحادثةِ إلى المؤسَّسةِ والذاكرةِ والحضارة |

# مَفَاتِيحُ الأَثَرِ الاسْتِرَاتِيجِيّ المُسْتَدَام

| | |
|---|---|
| **المبدأُ الأوَّل** | وضوحُ الغايةِ يحوّلُ الخسارةَ الآنيَّةَ إلى أثرٍ ممتد. |
| **المبدأُ الثَّاني** | الثباتُ الاستراتيجيُّ في المبادئ يحفظُ القيمةَ ويمنحُ الوسائلَ مرونةً واعية. |
| **المبدأُ الثَّالث** | القيادةُ الصادقةُ تدفعُ من ذاتِها قبلَ أن تطلبَ التضحيةَ من الآخرين. |
| **المبدأُ الرَّابع** | الحاجاتُ الإنسانيَّةُ تصبحُ سلاحاً حينَ تنفصلُ السلطةُ عن الضمير. |
| **المبدأُ الخامس** | الجماهيرُ تحتاجُ إلى مؤسَّساتٍ تحمي العهدَ عندَ ارتفاعِ الكلفة. |
| **المبدأُ السَّادس** | الشاهدُ الذي يحملُ الروايةَ يكمّلُ دورَ الشهيدِ الذي صنعَ الموقف. |
| **المبدأُ السَّابع** | القوَّةُ المادّيَّةُ تحسمُ الميدان، والشرعيَّةُ الأخلاقيَّةُ تحسمُ الذاكرة. |
| **المبدأُ الثَّامن** | العدوُّ الحقيقيُّ هو الفعلُ الظالم، والإنسانُ يبقى قابلاً لصحوةِ الضمير. |
| **المبدأُ التَّاسع** | المعنى يكتسبُ مناعةً حينَ يتحوَّلُ إلى تربيةٍ ومؤسَّساتٍ وخدمة. |
| **المبدأُ العاشر** | صناعةُ الأثرِ تبدأُ من سؤالٍ واحد: أيُّ إنسانٍ نريدُ أن يبقى بعدَ الأزمة. |

## خَاتِمَةٌ/ الإنْسَانُ الَّذِي يَخْتَارُ مَعْنَاه

تقولُ الملحمةُ إنَّ الإنسانَ المعاصرَ يواجهُ كربلاءَهُ الخاصَّةَ كلَّما طُلبَ منهُ أن يبادلَ الكرامةَ بالأمان، أو الحقيقةَ بالامتياز، أو ضميرَهُ بموافقةِ المنظومة. وقد يكونُ الميدانُ شركةً أو دولةً أو شاشةً أو ساحةَ حرب، غيرَ أنَّ جوهرَ الامتحانِ واحد: [أيُّ أثرٍ يتركُهُ القرارُ في مستقبلِ الإنسان؟]

عندما تنتصرُ القوَّةُ على الجسدِ وتفشلُ أمامَ المعنى، يبدأُ زمنُ الشهادة. وحينَ يحملُ الشاهدُ الروايةَ إلى الناسِ ويحوّلُها إلى تعليمٍ وخدمةٍ ومؤسَّسة، تبدأُ قيامةُ الضمير. هكذا تصيرُ كربلاءُ منهجاً لصناعةِ الأثرِ المستدام، وتصيرُ ذكرى الشهادةِ طاقةً تعيدُ للإنسانِ حقَّهُ في أن يختارَ غايتهُ ويصونَ كرامتهُ ويصنعَ مستقبلَه.

> كلُّ عصرٍ يصنعُ أدواتِ قهرِه، وكلُّ ضميرٍ يقظٍ يصنعُ طريقَ حريَّته.